محاضرات مادة: الأمالي في الادب الاسلامي

مدرس المادة: الاستاذ المساعد وليد سامي خليل سبع

المرحلة: ألــثانــية

الفصل الدراسي الثاني ٢٠١٩-٢٠٢٠م

اتجاهات الشعر في العصر الاموي:-

اذا جاز ان نسمي شعر الدعوة والجهاد وشعر الفتوحات الاسلامية اغراضاً شعرية جديدة فرضت معانيها على الشعراء ليعبروا من خلالها على واقع جديد.

فان هناك أغراضاً تقليدية عرفت قبل الاسلام واستمر القول فيها قروناً طويلة امتدت حتى عصرنا والسبب في ذلك بأنها أغراض تتعلق بجوانب النفس الانسانية وما فيها من حب وكره ولذة وفرح يعبر من خلالها الشاعر عن ذلك بالشعر .

*فقد كانت اغراض المديح والهجاء والرثاء والغزل أغراضاً واسعة جديدة قديمة ، فقد تطورت هذه الاغراض وبدت متأثرة بتعاليم الاسلام كونه ديناً ونظاماً للمجتمع العربي.

*ان اثر القرآن في الادب لم يكن محصوراً في الاغراض الجديدة: أو المعاني المستحدثة ، وانما تجاوزها الى الاغراض التقليدية سواء في المفردات اللغوية المستعملة أو المعاني التي اكدها الشعراء. وهذا أمر طبيعي ينسجم مع طبيعة المجتمع العربي الذي أصابه التطور ، فجرى باللغة الشعرية ان ينالها جزء من هذا التطور يتمثل بدخول المعاني الاسلامية الجديدة الى صور الشعراء وبرز الفاظ جديدة ما عرفتها العربية قبل ظهور الاسلام.

ا-المديح

وجه الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)الشعراء ان تكون أشارهم غير منافية لتعاليم الدين الاسلامي و الاخلاق ان لم تكن مدافعة عن الدعوة واعية لها فكل ما وافق الحق فهو حسن.

*والمديح وسيلة خيرة اذا احسن استخدامه لترقيق النفوس وتهذيبها واصلاح ذات البين بين ابناء القبيلة الواحدة أو القبائل المتنافرة.

ويدخل ضمن هذا المديح زهير بن أبي سلمى لهرم بن سنان ودوره في حقن دماء قبيلتين طال الحرب بينهما.

وبذلك يكون المديح وسيلة لتمجيد الاخلاق العليا والمثل القومية التي يرتضيها المجتمع.

فقد كان هذا الغرض في عصر صدر الاسلام خارجاً عن نطاق المديح الشخصي أو ألتكسبي الى المديح الذي يجعل من الممدوح إطاراً لقضية عامة.

*ويدخل في هذا الاطار كل الشعر الذي قيل في مدح الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)فهو ليس مدحاً لشخص الرسول بقدر ما هو مدح لمكانته و نبويته. ولهذا اعجب الرسول بقول الشاعر عبدالله بن رواحة:-

فثبت الله ما اعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

*لقد قضى الرسول الكريم حاجة شاعر حين نجح في عرض وساطته و إثارة مشاعر المودة و العطف في نفس الرسول الكريم على اسرى قبيلة هوازن بعد معركة حنين بشعر رقيق مذكراً الرسول بأن مرضعته من بني سعد من هوازن فيعفوا الرسول عن الاسرى.

*والمديح أوسع اغراض الشعر العربي ما خلا منه عصر و قلما خلا منه ديوان ، فالإسلام وجه الشعراء الى الالتزام في اشعارهم ، فكان المديح جزءاً من هذا الشعر الملتزم.

*ولم يعد مديحاً شخصياً بقدر ما هو مديح لقضية الدعوة ومديح الرسول اعلاء لقيم الرسالة السماوية.

فقد حرص الشعراء على توخي الدقة في اضفاء السمات الشخصية الاصيلة على ممدوحيهم وفق تعاليم الاسلام.

*فالشاعر الطفيل بن عمرو السدوسي يقول بعد أن هددته قريش لإسلامه معلناً ايمانه مادحاً الرسول بأنه رحمة للناس:

ألا أبلغ لديك بني لؤي على الشنآن والغضب المرد

بأن الله رب الناس فرد تعالى جده عن كلِ جـــــد

و ان محمداً عبد رسول دليل هدى وموضع كل رشد

فقد استعمل لفظة(عبد) وما تحمله من ذل وهوان في عصر ما قبل الاسلام ليطلقها عل مديح الرسول لأنها حملت معاني انسانية بعيدة عن معناها السابق إذ لا عبودية إلا لله سبحانه وتعالى.

*وهذه المعاني الجديدة نجدها بكثرة في شعر حسان بن ثابت معدداً صفات الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)فهو خاتم الانبياء وقرن اسمه الى اسمه حين جعل تمام أيمان المسلمين شهادة ان لا اله الا الله و أن محمداً رسول لله ، فقد خوفهم من النار و رغبهم في الجنة وهكذا يتحول مديح الرسول بياناً لمبادئ الاسلام التي جاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام.

أغرٌ عليه للنبوة خاتـــــــم من الله مشهود يلوح ويشـــــــهد

وضم الإله اسم النبي الى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشـــهد

و شق له من اسمه ليجلـــــه فذا العرش محمود وهذا محـــمـــد

نبي اتانا بعد يأس وفتـــــرة من الرسل والاوثان في الارض تعبد

*ان الكثير من القصائد و المقطوعات التي قيلت في عهد الرسول ، يمدح فيها الشاعر الرسول مدحاً بعيداً عن المديح الشخصي الذي يتناول ذات الممدوح وجعله جزءاً لا يتجزأ من الدعوة الاسلامية

- فمدح الرسول هو جزء من شعر الدعوة الاسلامية ، وهو جزء من اعلان الشعراء التزامهم بالعقيدة الاسلامية والدين الاسلامي.

*فالشاعر كعب بن زهير يمدح الانصار مديحاً بعيداً عن القبلية او الاغراض الشخصية التي كنا نعهدها في مديح قبل الاسلام ، فهو يمدحهم اذ دافعوا عن الرسول الكريم وتبنوا نصرة الدين الاسلامي ، فهم الانصار الذين نصروا الله ورسوله ، اذ يقول:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحي الانصار

و الباذلين نفوسهم لنبيهـــم يوم الهياج وقبة الجـــــــبار

*ويستمر هذا الاسلوب في مديح الخلفاء الراشدين.

يستقي ابو محجن الثقفي قيم اسلامية ليمدح ابا بكر بعناصر اسلامية فهو صديق لأنه صدق دعوة الرسول الكريم وهو صاحب لأنه صاحب الرسول في هجرته المباركة.

وسميت صديقاً و كل مهاجـــــر سواك يسمى باسمه غير منكر

سبقت الى الاسلام والله شاهـــدٌ وكنت جليساً بالعريش المشهر

وبالغار إذ سميت خلاً و صاحباً وكنت رفيقاً للنبي المطـــــهر

وتستمر القيم الخلقية العربية القديمة التي اقرها الاسلام في أشعار الشعراء المسلمين مقترنة بصفات المؤمن الصالح .

*فالحطيئة مع ما عرف به من سلوك أقرب ما يكون الى حياته الاولى قبل الاسلام نجد في بعض أشعاره الاسلامية هذه المعاني الجديدة ، فهو يشكو حاجته وفقره للخليفة عمر بن الخطاب فيسميه ملكاً(وتلك بقايا روح ما قبل الاسلام) ويذكره الحساب يوم القيامة و أن ابناءه في جوع مستمر حتى يوم المحشر.

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

غيبت كاسبهم في قعر مظلمـــة فاغفر عليك سلام الله يا عـــمر

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ألقتْ إليه مقاليد النهى البـــشر

*واذا كانت المعاني الاسلامية القليلة الواردة في اشعاره لا تشكل وجهاً ناصعاً لإسلام الحطيئة ، فهي ترسم بعض الملامح الاسلامية التي بدأت تسري الى نفسه و تؤثر في بعض معانيه.

*ان القيم التي دخلت في فن المديح بحكم الاسلام نجدها تستمر عند شعراء العصر الاموي حيث استقر الحكم على أساس الوراثة وليس على أساس الانتخاب كما كان في العصر الراشدي .

فالشعراء حاولوا اضفاء كل القيم الصالحة في نظر المجتمع على ممدوحيهم فالفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك بأن الله بعثه عدلاً ورحمة للناس. اذ يقول:

جعلت لأهل الارض امناً ورحمة و برءاً لآثار الجروح الكوالم

كما بعث الله النبي محمـــــــداً على فترة والناس مثل البهـائم

*اذا كان ادخال القيم الجديدة في المديح يمثل عنصراً من عناصر التجديد ، فإن هناك عناصر أخرى قيلت في موضوع المديح ولكن من وجهة نظر مخالفة.

فاذا كان بعض الشعراء يمدحون لأجل العطاء و المال فإن هناك شعراء دعوا الى رفض هذه الفكرة لأن رزق الانسان من الله سبحانه وتعالى. يقول ابو الاسود الدؤلي:

فان مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء

مقدرة بقبض او ببســـط وعجز المرء اسباب البلاء

ومن المعاني الجديدة التي دخلت الى هذا الغرض ان بني امية اضفوا على ممدوحيهم فكرة الجبرية وقد اشار الى ذلك الدكتور شوقي ضيف ان لا رأي للناس في اختيار الخلفاء بل كانت خلافتهم جبر وقدر على المسلمين وبذا يشيعون بين الناس مذهباً لفرقة كلامية لتستفيد منها في حق تثبيت ملكها بين الناس فيقول: (فكانوا يعتمدون الاحتكام الى الجبرية)في تقرير خلافتهم ، اما عن عقيدة ثابتة و اما من أجل ارضائهم وفي كل مكان في شعر جرير و الفرزدق نجد اللجوء الى الجبر في تقرير خلافة الامويين و ان الله كتب ذلك ولا مفر منه ، ولا تبديل لكلماته يقول جرير:

نال الخلافة اذ كانت له قدراً كما اتى موسى ربه على قدر

فإنه رفض التكسب بالمال لأنه إذلال لنفس صاحبه وهذه الفكرة لم تدخل فن المديح إلا بسبب المعتقد الاسلامي الذي رسخه الاسلام.

قال عدي بن الرقاع العاملي يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم إذ يقول:

١-لمن رسم دار كالكتاب المنمنم بمنعرج الوادي فويق المهـــــــزم
٢-عفت بعد اشباع الانيس كأنما الشخوص بها خيلان حرض وعجرم
٣-توهمتها من بعد ما قد خـلاها أهلة حول بعد حول مجـــــــــرم
٤-منازل أتراب تبدلن بعـــدها بلاداً فباتت غير نوي مهـــــــدم
٥-سمعن بغيث رابع فتبعـــــنه على كل موار الملاطم عثمثـــــم

(الحفظ عشرة ابيات)

الذي يريد زيادة في الحفظ مراجعة كتاب الامالي في الادب الاسلامي د.إبتسام مرهون الصفار ص١٩٥-٢٠٥

بعد هذا العرض الموجز جداً عن شعر المديح يتبين لنا أنه يتميز ببعض الميزات التي لاحظناها من خلال الدراسة لهذا الفن.

١-ظهور طبقة من الشعراء في هذا العصر اتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها ، فقاموا على تجويد شعرهم وهم الشعراء المداحون ، فقربهم الخلفاء و أغدقوا عليهم الاعطيات فراحوا يتنافسون في تجويد شعرهم وتنقيحه بغية ارضاء الممدوح ، وكان هؤلاء الشعراء الفضل في اكتمال بناء القصيدة العربية من حيث البناء الفني و اتقان الصياغة و متانة الاسلوب و استنباط المعاني الجديدة.

٢-يحرص هؤلاء الشعراء على استهلال قصائدهم بالوقوف على الاطلال و التخلص من وصف الاطلال الى النسيب ، ثم ينتقلون الى وصف الرحلة الى الممدوح وما فيها من مشقة حتى ينتهوا الى وصف مناقب الممدوح و مآثره من كرم وشجاعة مع جنوح الى المبالغة. فاذا افرغوا من مدحه هزوا أريحية الممدوح الى العطاء.

٣-ان جنوح شعراء العصر الاموي الى التكسب بشعرهم لم يكن ظاهرة جديدة في الشعر العربي ، فقد بدأ هذا الاتجاه منذ اواخر العصر الجاهلي ، فلما جاء العصر الاموي استشرت هذه الظاهرة.

ب-الهجاء:-

الهجاء مثل المديح في تصويره لقيم المجتمع.

فالهجاء من الاغراض التقليدية التي طرأت عليها التغييرات منذ ان استخدم الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين الاسلامي.

فكما تصدى المشركون الى هجاء المسلمين و الرسول(صلى الله عليه وسلم) أمر الرسول شعراءه بالرد عليهم وهذا الرد يكون فخراً بالدين الجديد و ذماً

وهجاءً لجهل الكافرين وكلمة الرسول لحسان بن ثابت(اهجهم وروح القدس معك) مشهورة تبين توجيه الهجاء وجهة جديدة.

*الرسول نهى الشعراء عن الشعر الذي يثلب الاعراض ويهتك الاستار ، فكيف نقول بأنه أمر شعراءه بهجاء المشركين؟. لا تعارض بين القولين.

فالمشركين اعلنوا عن لسان شعرائهم حرباً شعواء ضد المسلمين والرسول الكريم فكان من الطبيعي أن يأمر الرسول شعراءه بالرد عليهم **وكانت الردود متباينة**

*فمنها ما تنقض اقوال المشركين وترد عليهم الشتائم والذم.

*ومنها ما هجا المسلمون ألمشركين بالضلالة وقصور التفكير و الجهل.

وكان حسان بن ثابت يهجو الوليد بن المغيرة هجاءً معتمداً على اسس قبلية ، لأنه هذا الشخص من قريش معتد بنفسه ، بأنه من بطون قريش التي لا قيمة ولا شأن لها ، و إن هو الا عبد في قريش التي يفخر فيقول:

متى تنسب قريش او تحصل فمالك في أرومتها نصـــــاب

نفتك بنو هصيص عن أبيها لشجع حيث يسترق العبـــاب

وأنت ابن المغيرة عبد شول قد اندب حبل عاتقك الوطاب

*فاستمر حسان يهجو الكفار بما يتناسب و افعالهم ، فهو يهجو حكيم بن حزام بن خويلد بالجبن في الحرب ، ولعل استمرار حسان بالهجاء على هذه الطريقة الجاهلية مرده الى أنه يخاطب أناساً ما زالوا تاريخياً في فكر قبل الاسلام أو منتمين الى عصره في قيمهم التي يعتدون بها أو في المعايب التي تثيرهم و تغيظهم.

ولم يكن هجاء حسان يخلو من القيم الاسلامية الجديدة التي فُرضت عليه وعلى غيره من شعراء الدعوة الاسلامية ، ففي يوم أحد اصيب الرسول(صلى الله عليه وسلم) بسهم ارسله عتبة بن أبي وقاص ، فما كان من حسان ال ان يهجو عتبة ويعده بالخزي في الحياة الدنيا و بالعذاب يوم القيامة ، اذ يقول:

فأخزاك ربي يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق

بسطت يميناً للنبي برميـــــة فأدميت فاهاً قطعت بالبـــــوارق

*ان القيم الاسلامية الجديدة التي دخلت في هجاء المشركين في عصر الدعوة استمرت في عصر الخلفاء الراشدين و العصر الاموي.

فتغنى الشعراء بسلب مهجويهم من كل ما يرفع شأنهم في نظر الناس ، فالحطيئة يهجو الوليد بن عقبة والي الكوفة فيتهمه بشرب الخمر وهو يصلي ، فيقول:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعـــذر

نادى وقد قضوا صلاتـــهم أأزيدكم ثملاً و ما يدري

*وقد استطاع الشعراء من توظيف التشبيهات و الاخيلة القرآنية و من قصص الانبياء و الامم الواردة في القرآن مادة ادخلوها في اشعارهم.

وكذلك عمد شعراء السياسة في هذا العصر من العناصر الجديدة التي دخلت المجتمع العربي ، فأصحاب كل فريق سياسي يمثلون الحق و العدل و قادتهم اتقى الناس.

ج- الـرثـــاء:-

هو بكاء الميت و تعداد حسناته و خصائله.

وهو من الاغراض التقليدية في الشعر العربي لأنه مرتبط بالنفس الانسانية.

مما جعل الشعراء يبكون على موتاهم شعراً ، إلا أن هذا البكاء فيه جانبان:-

*تسجيل مشاعر ألراثي و اظهار لوعة حزنه وفجيعته.

*بيان مكانة ألمرثي وتأبينه ، أي ذكر خصال الخير التي عرف بها في زمانه.

*فالرثاء يصور عناصر الخير و المثل العليا في المجتمع ، فهو مثل المديح ، إلا أنه يخص ممدوحاً غائباً عن الوجود وهو ألمرثي.

*ففي جانب إظهار اللوعة و الفجيعة فقد تطور الرثاء عند شعراء الدعوة الاسلامية ، اذ تختفي معالم الحزن واليأس ، فقد يشير الشعراء الراثون ان هؤلاء الشهداء ما فقدوا الحياة الدنيا الا لينعموا بالحياة الآخرة حيث ثواب الله للشهداء في الجنة. فقد كان الشعراء يتخذون من استشهاد المسلمين مادة ينطلقون منها لتثبيت نفوس المؤمنين على الايمان.

فهذا حسان بن ثابت يرثي حمزة بن عبد المطلب وقد قدمت ابنته تسأل عنه فيجيبها بتأبين القتيل وذكر خصاله ، اذ يقول:

تسائل عن قرم هجان سميدع لدى البأس مغوار الصباح حسور

أخي ثقه يهتز العرف والندى بعيد المدى في النائبات صبـــور

*و اذا كان تعداد هذه الصفات على طريقة عرب ما قبل الاسلام ، إلا انها مُثل عليا للرجولة والبطولة.

ولكن حسان يوظف في أبياته الاثر الاسلامي في شعره حين يذكر بنت حمزة بأن استشهاد أبيها كان في سبيل الله. اذ يقول:

فقلت لها ان الشهادة راحـــــة ورضوان رب بأمام غفـور

فإن أباك الخير حمزة فأعلمي وزير رسول الله خير وزير

*وبعد ان يصف المرثي بالصفات الاسلامية يعود الى اظهار حزنه وألمه لفراقه و لكنه حزن مقترن بالاستشهاد و الشهادة. اذ يقول:

فو الله ما انساك ما هبت الصبا و لأبكين في محضري ومسيري

على: اسد الله الذي كان مدرها يذود عن الاسلام كل كفـــــــور

*ويقارن كعب بن مالك بين قتلى المشركين وقتلى المسلمين مقارنة قائمة على العقيدة الاسلامية ويذكرهم بقتلاهم الذين قتلهم المسلمين ببدر ، اذ يقول:

شتان من هو في جهنم ثاوياً أبدا و من هو في الجنان مخلد

*و تتكرر عناصر الرثاء الاسلامي ، فقد ورد في معظم هذه المراثي ذكر صفات النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)الخلقية الزاكية و تأكيد حزن الشاعر وألمه لفقد الرسول .

وكان فراق الرسول هو الذي يدعوهم الى البكاء. فالشاعر عبدالله بن أنيس يقول في ذلك:

ولكنني باكٍ عليه ومتبع مصيبته أني الى الله راجع

*أما حسان بن ثابت فإنه يقف عل الديار ويبكي الآثار ولكن اي ديار واي آثار أهي ديار الجاهلية وآثار الحبيبة ، لا إنها ديار الرسول (صلى الله عليه وسلم) وآثاره التي تظهر أمام عيني الشاعر في كل درب وزاوية من المدينة المنورة.

إنه يبكي آثار النبوة الباقية و المتمثلة بالمسجد النبوي الذي كان يجلس فيه النبي ، اذ يقول:

بطيبة رسم للرسول ومعهـــــــد منير وقد تعفو الرسول وتهمـــد

و لا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد

*هذه القيم الاسلامية التي دخلت في الرثاء تستمر في قصائد الشعراء في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي ولكن نسبة ورودها تختلف بإختلاف الشاعر و اختلاف ألمرثي فتتجلى هذه العناصر كلما كان المرثي مرتبطاً بحدث سياسي أو ديني.

وتختلف هذه العناصر في بعض القصائد اذا كان الشاعر يرثي شخصاً قل ارتباطه بالعناصر التي كونت المجتمع العربي.

*اما مراثي الشعراء للخلفاء الراشدين فإنها تدور حول المعاني الاسلامية و الصفات الخلقية التي يتسمون بها وتقترن بصفات اسلامية: أمر القرآن الكريم بالتحلي بها. فالأبيات التي قيلت في رثاء الخليفة عمر بن الخطاب تؤبنه من خلال وصفه بالأمام وسيرته العدل والتقى و الحكم بين الناس بسنة الدين القويم:

جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممـــزق

قضيت اموراً ثم غادرت بعدهـا بوائق في أكمامها لم تـــمـــــزق

وكنت تشوب العدل بالبر والتقى وحكم صليت الدين غير مـــروق

*و تجسد معاني جديدة في رثاء عثمان بن عفان عندما وصفه الشعراء بالشهيد وذكر جهاده مع شيخوخته. اذ يقول تميم بن مقبل:

ليبكوا على خير البرية كلها تخونه ريب من الدهر معطب

*ويرثي ابو الاسود الدؤلي الامام علي بن ابي طالب ويبكيه من خلال صفات الايمان و الاسلام فهو امير المؤمنين و أقرب الناس الى النبي الذي أقام الحق ، فقتله الخوارج في شهر الصيام:

ألا يا عين ويحك أسعدينـــا ألا تبكي أمير المؤمنينا

وتبكي أم كلثوم عليـــــــه بعبرتها وقد رأت اليقينا

ألا قل للخوارج حيث كانوا فلا قرت عيون الحاسدينا

*أما شعراء الخوارج فكان شعرهم يمثل حياتهم و اندفاعهم في القتال وكأنهم نصبوا انفسهم للموت طلباً لرضى الله و ثوابه وكأن كل من يقاتلونه خارج على الاسلام.

*وتتكرر هذه ألمراثي في قتلى الخوارج ، ونجد مثيلاً لها في رثاء الشعراء للحسين و أنصاره اذ أوردوا في قصائدهم كل القيم الاسلامية التي تقال في ميدان الجهاد و الشهادة.

إلا انها اتسمت بالحزن العميق ولوعة الثأر و تأمل من يقوم بالمطالبة بحق آل البيت وهذه سمة ميزتهم عن رثاء شعراء الخوارج.

*ان ما يشغلنا في شعر الخوارج هو شعر الرثاء-لأنها تصور حياتهم وتفكيرهم وحماسهم.

*ولقد اتخذ الخوارج طريق الحرب و الجهاد والمعارضة للسلطة ، وكانوا يتنافسون في القتال و الحرب و الاستبسال وتمني الشهادة.

*يظهر ادبهم صدق مشاعرهم و قوة ايمانهم و التزامهم بمبادئ الاسلام ، وكذلك صورت اشعارهم صدق مواقفهم ، وقوة عقيدتهم التي تذكرنا بشعر الجهاد و العقيدة ايام الدعوة الاسلامية.

*ان اهم ميزة من ميزات اشعار الخوارج هي انه شعر جماعة تكاد الروح السائدة فيه ان تكون متشابهة مصورة لجماعة خاشعة تتمنى الشهادة في سبيل الله.

*انه شعر بطولة جماعية صور فيه الشعراء بسالة الفرسان.

*رثاء شعر الخوارج رثاء عقيدة لا تجد الراثي فيه باكياً فراق المرثي.

*لا نجد في رثاء الخوارج دموعاً باكية على مصير المرثي بل تحس بفرحة الشهادة و الثواب.

قال عمرو بن الحصين يرثي ابا حمزة الشاري(هو رئيس فرقة من الخوارج):-

١- هبت قبيل تبلج الفجـــــــر هند تقل ودمعها يجـــــري
٢- إن ابصرت عيني مدامعهـــا ينهل واكفها على الدهـــــر(الواكف:الدمع السائل)
٣- أنى اعتراك وكنت عهدي لا سرب الدموع وكنت ذا صبر
٤- أقذى بعينك ما يفارقـــــــا ام عائر ام مالها تـــــــذري(القذى-مايسقط من العين)
٥- ام ذكر اخوان فجعت بهـــم سلكوا سبيلهم على خبـــــر (العائر-الدمع)
٦- فأجبتها بل ذكر مصرعهـــم لا غيره عبراتها تمـــــــري(تمري-تسيل)
٧- يا رب اسلكني سبيلهـــــــم ذا العرش و اشدد بالتقى ازري
٨- في فتية صبروا نفوسهـــــم للمشرفية والقنا السمـــــــر

(المشرفية-سيول منسوبة الى مشارف وهي قرى من ارض العرب)

ملاحظة/ لمن يرغب بحفظ المزيد عليه مراجعة ص٢٣٧ وما بعدها من كتاب د.إبتسام مرهون الصفار.

٤-الــغــزل

إن الاغراض الشعرية (المديح والرثاء والهجاء) استطاعت مواكبة الدعوة الإسلامية وأن تسخر كل غرض لخدمة الدين الجديد.

أما الغزل فما كان له أن يأخذ هذا الدور في الأدب الملتزم لخدمة الدعوة لطبيعة موضوعاته ومعانيه هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن طبيعة موضوع الغزل في عصر ما قبل الإسلام وكونه في الغالب جزءاً من موضوعات متعددة تشتمل عليها القصيدة الجاهلية جعل تطوره في عصر الدعوة المبكرة محدوداً.

*فكلنا نعرف أن معظم ما قيل من شعر الغزل في الجاهلية قيل في المقدمات الغزلية التي ابتدأ بها الشعراء قصائدهم وبقيت هذه البداية سمة فنية يتبعها الشعراء فيما بعد.

*واذا أردنا تتبع أبيات الغزل في عصر الدعوة الإسلامية لم نجد فيه تطوراً واضحاً كالذي نجده في العصر الأموي لأن الشعراء وهم يبدأون قصائدهم بموضوع تقليدي: أحسوا أن هذه البداية لا تنسجم مع الموضوع المهم الذي وجه إليه اشعارهم و هو موضوع الدعوة الإسلامية.

*و نجد في قصائد حسان الإسلامية التي التزم بها بالشكل الفني للقصيدة العربية لمحات خاطفة تشير إلى الشعور بعدم جدوى هذه الإفتتاحية مع تعوده عليها.

أما كعب بن زهير فإن أبياته المشهورة في قصيدته التي مدح بها الرسول) صلى الله عليه وسلم (ليست غزلاً بالمفهوم الذي نعرفه وهو التغني بصفات المرأة أو الحبيبة ، ومن يقرأ أبياته يجده واصفاً لوعته وحبه لسعاد ذاكراً جمالها في بيت واحد أما الأبيات التي تليها فهي وصف لغدرها وهجرها ، وينتقل بعدها إلى الإعتذار عن مواقفه العدائية من الرسول (صلى الله عليه وسلم) ثم يستمر بمدحه:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــول متيم إثرها لم يجز مكبـــــول

وما سعاد غداة البين إذ عرضت إلا أغن غضيض الطرف مكحول

وما تدوم على العهد الذي زعمت كما تلون في أثوابها الغـــــول

ولا تمسك بالود الذي زعمـــت كما تمسك بالماء الغرابيـــــل

نبئت أن رسول الله أوعدنـــــــي والعفو عند رسول الله مأمــول

*وقد بالغ بعض الباحثين فرأوا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم (أكرم كعباً وكساه كسوته لأنه اعجب بالقصيدة وجودتها فأثابه عليها.

ورأى آخرون ان سماع الرسول لقصيدة كعب دليل موافقته على ما ورد فيها كالمقدمة الغزلية خاصة.. وهو أمر يرجح عليه تعليل آخر هو أن الرسول كان قد أهدر دم كعب وإنه لخوفه قدم عليه متخفياً و أعلن الشهادة وطمأنه حين قرأ عليه قصيدته كساه البردة إعلانا و إشهاراً لعفوه عنه ليشيع بين المسلمين العفو عنه.

*وحين تثبت قواعد الدولة الإسلامية و يتوزع الشعراء في رقعتها فيتنوع شعرهم وأغراضهم الفنية ويصيبها تطور كبير يوافق اتساع الدولة الاسلامية وتوسعها، في العصر الأموي فيتخذ الغزل طابعاً جديداً مختلفا عن طابع ما قبل الاسلام في معانيه وصوره.

*فالشاعر المتغزل يستمد من معاني القرآن ما يعينه على وصف لوعته وحبه ومن التعاليم الإسلامية ما يسمح له بترقيق قلب الحبيبة ، و كذلك يتأثر بكثير من مبادئ الإسلام أو بالأحرى يكثر من الصور الفنية الواردة في القرآن ليصف جمال صاحبته و حبه لها وهذا تطور كبير في فن الغزل فاق به غيره في العصر الأموي.

*وكذلك إن قلوب المسلمين في نجد والبادية زادها الاسلام رقة وعفة و أبعدها عن الفحش في الغزل تصويراً مادياً مما خلق ضرباً جديداً من الغزل لم يعرفه الأدب العربي من قبل و هو الغزل العذري.

*ان تتبع المعاني الجديدة التي دخلت هذا ألفن ، هي معان دخلت بظهور الاسلام وهي صور لم تقتصر على الغزل العذري بل تجاوزتها لتدخل إلى موضوع الغزل عامة العفيف منه والصريح.

*و إن تطور معاني الغزل جاءت طبيعية بسبب سيادة الاسلام و مبادئه ، و استقرار الوضع الاجتماعي في العصر الأموي خاصة.

فإذا أراد الشاعر أن يجعل صاحبته ترق لحاله فإنه يصف وجده وآلام نفسه ويذكرها بعقاب الله لكل من قتل عمداً. يقول العرجي:

فخافي عقاب الله في قتل مسلم بريء ولم يقتل قتيلاً فيقتل

*ويقول جميل بثينة لقد بلغ به الوجد مبلغه داعياً الله أن يرقق قلب بثينة أو ينسيه حبها ليستريح

فيا رب حببني إليها واعطني المودة منها أنت تعطي وتمنع

وإلا فصبرني وإن كنت كارها فإني بها يا ذا المعارج مولع

*وكون الله تعالى يعلم سرائر النفوس وما تخفي من حب وألم فقد استغلها شعراء الغزل ، فالشاعر النابغة الجعدي يصف حاله وهو يخفي اسم صاحبته و يكنى بغيرها، وهو عالم بأن الله وحده العالم بما يخفي قلبه :

وأكلني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتم

*وقد استفاد عمر بن أبي ربيعة من هذه العناصر والأفكار التي دخلت لغة الغزل و استعملها في نقل الحوار الذي يدور كثيراً في أشعاره بينه وبين من يحب ، أو بينه وبين رسل الحبيبة ، فيقول ناقلاً ما ورد على لسان صاحبته التي تتهمه بأنه لا يبقى على حب واحد مع ذلك فهي تحبه بدليل أنها تدعو الله ليغفر له ذنوبه :

فتبسمت عجباً وقالت حقه أن لا يعلمنا بما لا نعلم

علمي به والله يغفر ذنبه فيما بدالي ذي هوى متقسم

وذكر جمال الحبيبة عنصر من عناصر القصيدة الغزلية ومن الشعراء من يعطيه مسحة خاصة تدل على تطور هذا ألفن وتطور لغته ، فذو الرمة يستفيد من الآية القرآنية التي تصور إرادة الله ومشيئته في أن يقول للشيء (كن فيكون (فيصف من خلالها عيني بثينة قائلا:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

و كثير عزة يستفيد من فكرة نشر الموتى يوم القيامة فيصف جمال صاحبته بحيث يكفي أن تلمس الميت لينشر لتعود إليه الحياة :

والميت ينشر أن تمس عظامه مساً ويخلد أن يراك خلوداً

*ويلاحظ من خلال هذه الأشعار أن اللغة الشعرية الغزلية قد أصابها تطور كبير بعد الإسلام بسبب رقة المشاعر التي هذبها الإسلام و توجه فيها الغزل وجهة عفيفة بعيدة عن الفحش خاصة في الغزل العذري، وقد ظهر هذا جلياً في الشعر المنسوب إلى بني عذرة وفي شعر جميل بثينة و كثير و غيرهم.

*ولعل أطرف ما وصل إلينا من شعر يمثل تهذيب النفس المحبة بسبب تعلقه بمبادئ الاسلام.

* فالمتتبع لفن الغزل في هذا العصر يجده قد تطور تطوراً كبيراً ما كان له أن يتطور لولا نزول الاسلام. و هذا التطور اتخذ سبيلين في العصر الإسلامي . ففي عصر الدعوة ابتعد الشعراء عن قول الغزل إلا في المقدمات التقليدية بسبب إنشغالهم في الدفاع عن الدعوة ، والعقيدة حتى إذا استقرت النفوس عادوا ليعبروا عن ما تعانيه نفوسهم من مشاعر وأحاسيس. يقول جميل بثينة:

ألا ليت أيام الصفاء جديـــــــد ودهراً تولى يا بثين يعـــــود

فنغني كما كنا نكون وأنتـــــــم وصدق وإذا ما تبذلين زهـــيد

وما أنس ما الاشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوي أمصر تريد

ولا قولها لون العيون التي تـــرى أتيتك فاعذرني فدتك جـــــدود

خليلي ما أخفي من الوجد ظـــاهر فدمعي بما أخفي الغداة شهيد

من يريد أن يحفظ المزيد عليه الرجوع الى القصيدة صفحة ٢٤٩ وما بعدها في كتاب د.ابتسام مرهون الصفار.

وقد تطور هذا الفن في العصر الاموي وأصبح له أعلامه وشعراؤه المعروفين.

*وقد اتخذ هذا التيار مسارين أولهما عرف بالغزل العذري ، وآخر عرف بالغزل الماجن أو الغزل الفاضح أو الغزل الحسي اللاهي. مثل هذا المسار عمر بن أبي ربيعة.

* لقد اتخذ شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الغزل في الحجاز سمة الصراحة في الغزل في ذكر أسماء من يتغزل بهن ،أو يشبب بهن ،أو يتخيل أحاديث ومواقف وقعت معهن.

*فالشعراء العذريون أشعارهم مليئة بالعاطفة الحارة الصادقة و المودة لمن يحبون.

وقد تعددت الفتيات اللائي تغزل بهن عمر بن أبي ربيعة بينما قصر الشاعر العذري حبه على واحدة.

*وقد أستفاد عمر بن أبي ربيعة من هذه العناصر والأفكار التي دخلت لغة الغزل استلهمها في بيان حبه و وجده وفي بيان و نقل الحوار الذي يدور فيه أشعاره.

*وذكر جمال الحبيبة عنصر من عناصر القصيدة الغزلية. ومع ذلك وجدنا بعض الشعراء من يعطيه مسحة خاصة تدل على تطور هذا الفن و تطور لغته.

*فذو الرمة يستفيد من الآية الكريمة التي تصور إرادة الله ومشيئته في أن يقول للشيء كن فيكون، فيصف من خلالها عيني بثينة قائلاً:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

إن اللغة الشعرية الغزلية قد أصابها تطور كبير بعد الإسلام بسبب رقة المشاعر التي هذبها الإسلام وتوجه فيها الغزل وجهة عفيفة بعيدة عن الفحش خاصة في الغزل المنسوب الى بني عذرة وفي شعر جميل بثينة وغيرهم.

*إن المتتبع في هذا الفن الشعري يجده تطور تطوراً كبيراً و هذا التطور ما كان أن يكون لولا نزول الاسلام والظروف الجديدة التي طرأت في حياه العرب.

*فقد تأثر بالقرآن الكريم ومعانيه واخيلته وتوجيهاته.

سمات الغزل العذري والصريح

١-إتسم الغزل بمساريه العذري والصريح بإعتماده أسلوب الحوار و الحكاية فكثر تعبير قال، وقلت، حتى تحولت بعض القصائد إلى قصص قصيرة يحكيها الشاعر عن نفسه مع صاحبته أو صاحباتها.

٢-رقة اللغة الشعرية في المسارين الصريح و العذري سمة عامة لطبيعة موضوع الغزل ورقته. و لغة الشعر في الغزل الصريح والعذري واحدة إلا أن ألفاظاً بعينها كثر ورودها تتعلق باللقاء والأحاديث الفرحة واللوعة.

٥-الحكمة

في المعاني الشعرية التي كانت معروفة في شعر ما قبل الاسلام فكان الشاعر الجاهلي يتأمل حياته و حال قبيلته و يتأرجح رأيه الى الحياة فهناك من رآها فانية لا دوام ولا خلود فيها.

فلم تكن الحكمة غرضاً قائماً بذاته في الشعر العربي و إنما ترد في ثنايا الأغراض الشعرية المعروفة قبل الإسلام التي يعبر عنها الشاعر مدحاً أو غزلاً أو فخراً أو هجاءً .

*بغض النظر عن المؤشرات العامة التي قيلت بشأن وجود الحكمة في عصر ما قبل الإسلام تبقى الحكمة وثيقة الصلة بالحياة الانسانية عامة و العربية خاصة.

فنظرة العربي الى الأمور لا بد أن تحكمها تجاربه وأفكاره وبيئته و ما ينتج عنها من تأملات و أفكار يسميان حكمة.

*وقد استمرت معاني الحكمة في عصر صدر الاسلام لما أثاره الإسلام من كثرة التساؤلات التي أثارتها الآيات الكريمة في نفس العربي المسلم عن أسرار خلق الله و عن حكمته في خلق السموات والارض.

*لقد صارت الحكمة في عصر صدر الاسلام ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها لكون الحكمة نظرة صادقة الى الحياة.

وقد ذهب بعض الباحثين الى القول بقلة شعر الحكمة في عصر صدر الإسلام وإن أغلبه صدر عن شعراء مخضرمين وإن الحكمة في شعر حسان بن ثابت قليلة قلتها في شعر أهل عصره.

وإن سبب قله شعر الحكمة في عصر صدر الاسلام هو القرآن الكريم الذي شغلت حكمته الشعراء و غير الشعراء لأن القيم الروحية و الخلقية أغنت الشعراء من أن يقدموا حكمهم في أشعارهم.

*إن الواقع الإنساني والشعري يرفضان فكره نضوب الحكمة في شعر صدر الإسلام لأن طبيعة الأحداث التي مر بها العربي تفرض عليه أن يقف متأملا مما يشهده في مجتمعه وبيئته الجديدة.

* وإذا كان للقرآن أثر في معاني الحكمة فهو أثر كبير لا في صرف الشعراء عنها وإنما في توجيهها وجهه موافقة لما وجهت إليه أفكار الناس و سلوكهم في الحياة.

*وهكذا اتجهت أفكار الشعراء لتصور ما استمدوه من حكمة من القرآن و تفاوت ذكرها بتفاوت قدرة الشاعر على فهم نظرة الإسلام الى الحياة.

فالشاعر حسان بن ثابت يستمد معناه في بعض شعره من الآية الكريمة(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) فيقول ذاكراً هجرة الرسول:

وهل يستوي ظلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتـــــد

لقد نزلت منه على أهل يثـرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد

*وإن عمر الانسان محدود وأجله مقدر لذلك يرثي حسان بن ثابت الرسول (صلى الله عليه و سلم) مؤكداً الفكرة نفسها

فلم يترك الله منا بعده ذكراً ولم يعيش بعده أنثى ولا ذكراً

ذلت رقاب بني النجار كلهم وكان أمراً من أمر الله قد قدراً

وقد أكد الشعراء هذه الفكرة وأكثروا من ذكرها في مراثيهم في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. وأن الإسلام زاد من ذكر الحكمة في ضرب المثل في أشعار الشعراء لكثرة ما ورد منها في القرآن الكريم.

وقد وجدنا بعض الشعراء يوقفون قصائد في أشعارهم على التأمل متمثلين بعض معاني القرآن الكريم ، ومن ذلك قول النابغة الجعدي الذي يقول:

ألحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلماً

ويذكر الإنسان بالأمم البائدة التي ذكرها الله في القران الكريم:

يا أيها الناس هل ترون الى فارس بادت و خدها رغماً

أمسوا عبيدا يرعون شاءكم كأنما كان ملكهم حلمـــــاً

*أما في العصر الأموي فإننا نجد الشعراء أكثروا من ذكر الحكمة و الأمثال في أشعارهم و كان لإتساع الحياة العربية و كثرة الأحداث الجسيمة فيها أثراً كبيراً في تطور المعاني الشعرية و الإكثار من الحكمة.

فهناك شعراء استمدوا حكمهم وأمثالهم من القرآن الكريم و قصصه.

كقول هدبه بن الخشرم:

فإنا قد حللنا دار بلـــــــــوى فتحطمنا المنايا أو تصيب

فإن يك صدر هذا اليوم ولـــى فإن غداً لناظره قريـــب

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريـب

فالحكمة في العصر الاموي تجدها في أشعار الرثاء والمديح و الإخوانيات كما تراها في الشعر السياسي والحماسي، فغزارتها جزء من غزارة معاني هذه الأغراض الشعرية وتطورها.

كذلك نجدها في شعر شعراء النقائض من خلال محاولة الشاعر إقناع السامع بصدق ما يقول في فخره بنفسه وقومه وهجاء الآخرين.

هذه الأبيات لشاعر إسلامي وردت الحكمة في شعره وهو الشاعر معن بن أوس المزني، إذ يقول:

١- وذي رحم قلمت أظفار ضغنـــــه بحلمي عنه وهو ليس له حلم

(قلمت اظفار ضغنه-اطفأت شره)

٢- يحاول رغمي لا يجادل غيـــره و كالموت عندي أن يعربه الرغم

٣- فإن أعف عنه ، أغض عينا على قذى وليس له بالصفح عن ذنبه علـــم

٤- وإن أنتصر منه أكن مثل رائـــش سهام عدو يستهاض بها العظـــــم

(رائش-أي رائش للسهم، يقول اذا غضبت على ابن عمي اكون كمن راش سهماً وقدمه لعدوه فأصابه به، فالغضب على ابن عمه يصيبه أذاه)

٥- وبادرت منه النأي و المرء قـــادر على سهمه ما دام في كفه السهـــم

والذي يرغب بزيادة الحفظ علية الرجوع الى القصيدة ص٢٧٨وما بعدها في الكتاب الأمالي في الأدب الاسلامي. الدكتورة إبتسام مرهون الصفار.

الخصائص الفنية للشعر الاموي

بعد إنتهاء الخلافة الراشدة و انتشار الاسلام خارج أسوار الجزيرة العربية إنتقل الكثير من القبائل العربية الى المدن الواقعة في الأطار الجغرافي للدولة الاسلامية في بدايات العصر الأموي وإنتقال العاصمة الى دمشق ، لم ترغب الكثير من القبائل بالإنتقال إليها بسبب تواجد مركز القوة فيها وفضلوا الإنتقال الى المدن التي يكون تأثير الخليفة فيها أضعف ،خاصة إن عدداً منهم في صراع معاوية مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وقفوا الى جانب علي. كما إن الحروب مستمرة على الحدود الشمالية حدت من إمكانية التبادل التجاري مع الدولة البيزنطية ، لذلك فضلت هذه القبائل الإنتقال الى مدن العراق الغنية نظراً للإمكانيات الزراعية التي وفرتها الظروف الطبيعية من ري و أرض خصبة. وقد أدى غنى هذه المدن الى استقطاب الكثير من الشعراء الذين امتهنوا حرفه الكتابة.

*وأدى الإنتقال من الحياه البدوية في الحياه الحضرية في البصرة و الكوفة ثم لاحقاً في دمشق الى تغييرات كبيرة في الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وتطورت الحياه الفكرية لتشمل الخلفاء و الحاشية ، من أمراء وكبار موظفي الدولة وأشراف المدن.

*إن الكثير من الشعر كان ينقل كتابياً، اذ بدأت كتابة الشعر على الورق الذي تم استيراده من الصين . و كانت البصرة أحد المراكز المهمة في الحياه الأدبية و خاصة الشعرية، و بقيت تتنافس على مراكز السيادة.

في البصرة سكن فحول الشعر في العصر الأموي مثل الفرزدق ، و امتاز شعر البصرة بالرقة والعذوبة والتجديد ، عكس الشعر الكوفي الذي امتاز بالمتانة و المحافظة.

إشتهرت البصرة بالمربد الذي تخرج منه فطاحل شعراء العصر الأموي من أمثال جرير والفرزدق ولاحقاً بشار بن برد وأبو نوأس وغيرهم.

*في العصر الأموي ازدهر الشعر بشكل كبير وكان أكثر الشعراء في العصر الأموي ينتسبون في معظمهم الى القبائل العربية الشهيرة التي قدمت من شبه الجزيرة العربية كالأخطل والفرزدق وجرير.

* ولعل أهم ما في هذه الفترة من عوامل أثرت على الشعر كانت الرعاية الرسمية له من قبل الخلفاء والأمراء وقادة الجيش ووجهاء القبائل.

*هذه الرعاية ساعدت على توسيع الرقعة الجغرافية لإنتشار الشعر وتطور مواضيعه وأدواته.

*فكانت العطايا حافزاً مهماً في ظهور قصائد المدح الجليلة ، وفي إعطاء شعر الغزل صفات أكثر خصوصيه مما كانت عليه في الفترة السابقة و لعل العامل الثاني الذي ظهر في هذه الفترة كان احتراف مهنة الشعر من عدد لا بأس به من الشعراء.

وكان للخليفة وغيره من موظفي الدولة و وجهاء العشائر أثر في توجيه الشعر وتطوره.

***أما بالنسبة للتطور والتجديد الذي أصاب الشعر الأموي يكمن بما يلي:**

١-**الأفكار** : تميزت الأفكار عموماً بوضوحها وعدم المغالاة في إخفائها وراء الكلمات، و أهم المواضيع كانت الغزل العذري و الإباحي والمديح والذم مثل المناظرات الشهيرة بين جرير و الفرزدق، كما كانت هناك عدد من القصائد

التي تناولت المواضيع الدينية ، خاصة وإن عدداً من الشعراء عاصروا بداية الدعوة.

٢-**العاطفة:** لم يختلف الشعراء في رهافة عاطفتهم وأحاسيسهم وفي صورهم عن شعراء العصرين الجاهلي و الراشدي فكانت الدافع المباشر الى القول، وحددت موقف الشاعر والعاطفة هي الدعامة الأساسية للقصيدة .

والهدف الرئيسي إثاره الانفعال في نفوس القراء والسامعين بعرض الحقائق رائعة وتمتاز العبارة بالإنتقاء و التفخيم والوقوف على مواطن الجمال ، كما تكون الصور الخيالية و ألصنعة البديعية والكلمات الموسيقية مظهر الإنفعال العميق.

فأتت العبارة في القصيدة الأموية جزلة قوية معبرة عن عاطفة قوية.

ولمعرفة خصائص الشعر في العصر الاموي لابد أن نقف عند كل ضرب من ضروب الشعر و أول هذه الفنون الشعرية فن المديح.

*فقد ظهر في العصر الأموي شعراء اتخذوا الشعر حرفة يتكسبون بها و أكبوا على العناية بشعرهم وتجويده ، و هم الشعراء المداحون ، فراح الشعراء يتنافسون في تجويد شعرهم بغية إرضاء الممدوحين و النقاد ، وكان لهؤلاء الشعراء الفضل في الاتجاه بالقصيدة العربية نحو النموذج الفني المكتمل.

*فقد التزم هؤلاء الشعراء بناء القصيدة في صورته النموذجية ، فهم يحرصون على استهلال قصائدهم بالوقوف على الأطلال والتخلص من وصف الأطلال الى النسيب يطيلون فيه تارة ويوجزون تارة اخرى ، حتى ينتهوا الى تعداد مناقب

الممدوح ومآثره من كرم و شجاعة مع جنوح الى المبالغة فإذا فرغوا من المديح هزوا أريحية الممدوح الى العطاء.

*أما في الغزل فقد عمد الشعراء الى ابتكار المعاني الغزلية التي لم تخطر في بال أسلافهم مع اتباع اسلوب جديد يلائم هذا الغزل من حيث ابتكار المعاني أو الإفتنان الإسلوبي أو التعبير عن العواطف وتصويرها.

*ومن الفنون الاخرى التي طرأ عليها التجديد هو فن الخمريات و قد نهض خاصة على يد الأخطل والوليد بن يزيد.

*وكذلك فن الهجاء و المناقضات ، فقد نقل شعراء الهجاء في ذلك العصر الهجاء من صورته البسيطة الساذجة عند شعراء الجاهلية الى صورته المتقنة المعقدة. فاستعانوا بالوان الثقافة التي انتشرت في ذلك العصر لإسباغ ثوب جديد على فن الهجاء.

فظهرت فيه أساليب جديدة ونزع الشعراء الى ابتكار المعاني والصور الهجائية. وجنح طائفه من الشعراء الى الألفاظ البذيئة و الصور الفاحشة و نهش الأعراض وذكر العورات.

من كل ما تقدم يمكن أن نستخلص أهم الخصائص الفنية للشعر الأموي

١-الألفاظ جزلة وسهلة وعذبة رقيقة.

٢-الإعتماد على التصوير رغبة في إبراز الافكار والمعاني.

٣-بناء القصيدة كان على طريقة الجاهليين في تعدد أغراض القصيدة.

٤- الموسيقى، التزم الشاعر نظام الوزن الواحد والقافية الواحدة.

٥-التأثر الواضح بألفاظ القرآن الكريم.

٦-كانت معاني الشعر في العصر الأموي مزيجاً من بداوة وتحضر ،يشدها التماسك وتضبطها الدقة ويوسع آفاقها الخيال.

أما اللفظ فقد عرف القوة والمتانة كما عرف اللين و الرقة.

-كان هناك شيء من التعقيد و الغرابة عند المتصنعين وأصحاب الأرجاز.

فالشعر الأموي ظل بمجمعه جاهلي المنزع فالشعراء لم يهجروا الإستهلال بالغزل وذكر الديار.

شـعـراء النـقـائـض

يعد أصحاب هذه القصائد من أعلام شعراء العصر الأموي إقترن اسمهم بغرض واحد عرف باسم النقائض.

--فقد كان لخمود العصبية القبلية في عصر صدر الاسلام سبباً في انحسار روحها في شعر ذلك العصر.

ومع ذلك عرف العصر نقائض دارت بين المسلمين والمشركين في إطار الدعوة.

--لكن ظروفاً عديدة استجدت في العصر الأموي منها سياسية وفكرية واجتماعية تعاضدت جميعها على انبعاث الروح العصبية من جديد، و مثلت النقائض هذه الروح ، كما مثلت العصر خير تمثيل.

--فانبعث الهجاء أولاً في المجتمع البصري بين شاعرين ينتميان الى قبيلة واحدة هي تميم و ينتسبان الى فرعين منها، جرير الى عشيره كليب من بني يربوع والفرزدق ينتمي الى عشيرة مجاشع من بنى دارم فكانت مهاجاتهما محط انتباه أهل البصرة.

فانقسم الناس فريقين أحدهما يفضل الفرزدق والآخر جرير.

--فالمسألة لم تعد مسألة مهاجاة قبيلة قدر كونها متعة فكرية.

--وتحولت النقائض من غاية الهجاء الخالص الى غاية جديدة هي سد حاجة الجماعة الحديثة في البصرة الى ضرب من ضروب الملاهي.

--وتحولت الى نوع من المنافسة الأدبية الفنية.

--إستمرت المهاجات بين الشاعرين نحو خمساً وأربعين سنة دخل معهم في المهاجات شعراء كثيرون سرعان ما سقطوا تحت وابل الهجاء.

--النقائض قامت اساساً على الهجاء ولكنها اختلفت عن قصائد الهجاء الخالصة في كونها تستلزم و جود شاعراً آخر يرد على الشاعر الهاجي بقصيدة تقوم على الوزن والبحر والقافية التي قال فيها الشاعر الأول.

--تكون القصيدتان نقيضتين تشترك في المعاني العامة لأن الشاعر الناقض لابد أن يهدم المعاني الهاجية أو المادحة و يأتي بما يبطلها فخراً بنفسه وقومه.

-ماهي النقائض:- هي معركة هجائية شعرية نشبت بين بعض الشعراء أمثال جرير والأخطل والفرزدق، وفيها ينظم الشاعر قصيدة في الفخر أو الهجاء على وزن وقافية فيرد عليه شاعر آخر بقصيدة ينقض فيها فخره و هجائه من نفس الوزن والقافية، حتى يظهر تفوقه عليه من ناحية المعاني ومن ناحية الفن نفسه.

ولشعر النقائض عيوب منها

١-إحياء العصبية القبلية التي قضى عليها الاسلام.

٢-التفاخر بالأحساب والأنساب.

٣-الهجاء الفاحش اللاذع الخارج عن روح الإسلام وتعاليمه.

هناك أسباب دعت الى انتشار النقائض في عصر بني أمية

١-التنافس الشخصي بين الشعراء للحصول على منح الخلفاء والأمراء.

٢- الإنتماء الى الأحزاب المتصارعة على الحكم.

٣-تشجيع خلفاء بني أمية لكل ما يشغل الناس عن عيوب حكمهم.

٤-تلهف العامة على أخبارها للموازنة بينها، ولشغل أوقات الفراغ التي يمر بها الشباب العاطل عن العمل.

***الفرزدق:** هو همام بن غالب من أشرف بيوت تميم من مجاشع بن دارم فقد عرف جده صعصعة بن مجاشع بأنه محيي المؤودات ، أنه كان في الجاهلية يفتدي كل فتاة يهم أبوها أن يئدها(يقتلها حية).

أما أبوه غالب فكان بدوياً صاحب أبل وأغنام ثم نزل البصرة وسكنها و اشتهر بكرمه. و أم الفرزدق اسمها لينة من قبيلة ضبه - أما جدة الفرزدق لأبيه فكانت مشهورة وهي أخت الأقرع بن حابس.

ولد الفرزدق بكاظمة وهي التي تسمى حالياً الجهرة شرقي الكويت، وكانت ولادته في خلافة عمر (رضي الله عنه) و نشأ نشأة بدوية غلب عليه لقب الفرزدق لقبح وجهه ؛ لأن الفرزدقة معناها الرغيف بعد أن يخرج من الرماد مبرقعاً.

و كان يتشيع لآل البيت ويعتقد بحقهم في الخلافة، ولكنه كان يمدح آل امية لينال عطاءهم؛ لأن العلويين كانوا في خلال الحكم الأموي فقراء.

*جرير بن عطية ينتهي نسبه الى قبيلة تميم نشأ في اليمامة ومات ودفن فيها.

لم يكن لآبائه وعشيرته ما لآباء الفرزدق وعشيرته مجاشع من الأمجاد.

وكانت عشيرته ترعى الإبل والأغنام.

كان أبوه عطية متخلفاً في المال مبخلاً ، كانت أمه تسمى أم قيس وهي من نفس عشيرته ولدت جرير في بادية اليمامة حوالي سنة ثلاثين للهجرة.

لقد استمر الهجاء الحاد بين جرير والفرزدق زمناً طويلاً.

*و هناك رواية مفادها أن الأخطل بعث إبنه مالكاً من الشام الى العراق ليأتيه بخبر الشاعرين فلما لقي أباه قال له؛ وجدت جريراً يغرف من بحر والفرزدق ينحت في صخر ،فقال الأخطل :الذي يغرف من بحر أشعرهما ثم قال شعراً يفضل فيه جريراً.

قصيدة جرير يهجو الأخطل

مَنِ الدِيارُ بِبُرقَةِ الرَوحـــــانِ إِذ لا نَبيعُ زَمانَنا بِزَمـــــــــانِ

إِن زُرتُ أَهلَكِ لَم تبالي حاجَتي وَإِذا هَجَرتُكِ شَقَّني هِجـــراني

راجَعتُ بَعدَ سُلُوِّهِنَّ صَبابَـــةً وَعَرَفتُ رَسمَ مَنازِلٍ أَبكـــاني

نَزَلَ المَشيبُ عَلى الشَبابِ فَراعَني وَعَرَفتُ مَنزِلَهُ عَلى أَخـــداني

قَد راعني صلع وَشَيبٌ شامـــل بَعدَ الشَبابِ وَعَصرِهِ الفَينـــانِ

أَصَحا فُؤادُكَ أَيَّ حيـــنِ أَوانٍ أَم لَم يَرُعكَ تَفَرُّقُ الجيـــرانِ

هَل تُبصران وَدَيرُ أَروى دوننا بِالأَعزَلَينِ بَواكِرَ الأَظـــعانِ

صَدَعَ الظَغائِنُ يَومَ بِنَّ فُـــؤادَهُ صَدعَ الزُجاجَةِ ما لِذاكِ تَـــدانِ

فرَقَّعتُ مائِرَةَ الدُفوفِ أَمَلَّـــها طولُ الوَجيفِ عَلى وَجى الأَمـــرانِ

حَرفاً أَضَرَّ بِها السِفارُ كَأَنَّـــها جَفنٌ طَوَيتَ بِهِ نِجادَ يَمـــاني

ضاع الزُبَيرَ وَقيلَ أَنَّ مُجاشِعاً شَهِدوا بِجَمعِ ضياطِرٍ عُـــزلانِ

وَإِذا لَقيتَ عَلى زَرودَ مُجاشِعاً تَرَكوا زَرودَ خَبيئَةَ الأَعطـــانِ

إِنَّ الفرزدق وَالقَرينَ وَضَوطَراً بِئسَ الفَوارِسُ لَيلَةَ الحَدَثـــانِ

١-برقة الروحان-اسم موضع. ٢-شفني-هزلني واضرني. ٣-يتسائل الشاعر لشدة شوقه.٦-أي او ان: تعجب يريد أي حين صحا.٧-دير اروى بالشام، الأغزلان موضعان ببلاد كليب.٨-الصدع:الكسر المستطيل.

٩-رفعت:أي رفعت ناقتي في السير، يريد وصف الناقة بأنها تسرع . الوجا:وجع يصيبها في أخفافها. الامران: الاخفاف سميت بذلك لأنها مرنت السير.

١٠-حرفاً:الحرف الناقة يشبهونها بحرف الجبل من غلظها. الجفن: غمد السيف. النجاد: حمالة السيف.

١٢-زرود :موضع وقيل اسم رمل.

١٣-القرين:اسم رجل من قوم الفرزدق. هو الشاعر البعيث.

قصيدة جرير

--**الأبيات١-٩.** تبدأ بتذكر الديار والبكاء على الأحبة وهو نهج الشعراء في قصائدهم التقليدية ، فهو يبكي رسوم الديار ويتحسر على الشباب ويخاطب رفيقه بأن فراق الأحبة صدع قلبه.

--**الأبيات٩-١٠.** يصف فيها جرير الناقة التي ارتحل عليها مسلياً نفسه عن الأحبة الذين ارتحلوا عن الديار.

--**الأبيات١١-١٤.** يبدأ جرير بهجاء الفرزدق ويصفه وقومه بالجبن وإنهم عبيد إذا تعرضوا لقوم جرير فكأنهم يتعرضون المستحيل.

ـ**الأبيات١٥-١٨.** يفتخر جرير على الفرزدق بأن فرسان قومه شجعان سبق لهم أن انتصروا على الملك النعمان و إنهم كانوا أشداء على الملوك والفرس وعدد أسماء فرسان قبيلته.

الفرزدق يرد على جرير

١-يا اِبنَ المَراغَةِ وَالهِجاءُ إِذا اِلتَقَـــت أَعناقُهُ وَتَماحَكَ الخَصمـــــــــانِ

يقول: الهجاء يكون اذا التقت اعناقه وجد الشاعران، التماحك: اللجاجة والمخاصمة.

٢- ما ضَرَّ تَغلِبَ وائِلٍ أَهجَوتَهـــــــا أَم بُلتَ حَين تَناطَحَ البَحـــــرانِ

يعني هجاء جرير في تغلب لا يضرها لأنه فضلها معروف في العرب.

٣- يا اِبنَ المَراغَةِ إِنَّ تَغلِبَ وائِـــــلٍ رَفَعوا عِناني فَوقَ كُلِّ عِنـــــانِ

العنان: كناية عن الشرف.

٤- كانَ الهُذَيلُ يَقودُ كُلَّ طِمـــــــــرَّةٍ دَهماءَ مُقرَبَةٍ وَكُلَّ حِصـــــــانِ

غار الهذيل بن هبيرة في الفي تغلبي و أغار ثم اغار على حنبه ثم على بني يربوع.

٥-يَقطَعنَ كُلَّ مَدىً بَعيدٍ غَولُـــــــــهُ خَبَبَ السِباعِ يُقَدنَ بِالأَرســـانِ

غول:بعد يصف الخيل بأنهن مدربات مجنبات الى ان يحتاج اليهن يوم الغارة.

٦- وَرَدوا أَرابَ بِجَحفَلٍ مِن تغلـــــب لَجِبِ العَشِيِّ ضبارِكِ الأَركـــانِ

جحفل: جيش كبير ،لجب: كثير الضجة، ضبارك: عظيم ضخم.

٧- فيه يبيت مِنَ المَخافَةِ عائِـــــــذاً أَلفٌ عَلَيهِ قَوانِسُ الأَبـــــــدانِ

يقول لكثرتهم يستجير بهم الف من الناس ذوي سلاح، القوانس: الدروع.

٨- وَ الحَوفَزانِ أَميرُهُم مُتَضـــــائِلٌ في جَمعِ تَغلِبَ ضارِبٌ بِجِــرانِ

ضارب بجران: أي ذيل.

٩- تَرَكوا لِتَغلِبَ إِذ رَأَوا أَرماحَـــهُم بِإرابَ كُلَّ لَئيمَةٍ مِـــــــدرانِ

مدران: من الدرن وهو الوسخ.

١٠- تُدمي وَتَغلِبُ يَمنَعونَ بَناتِـــهِم أَقدامَهُنَّ حِجارَةُ الصَـــــــوّانِ

يعني انهن سبايا يمشين حافيات. الصوان : حجارة تدمي اقدامهن.

١١- يَمشينَ في أَثَرِ الهُذَيلِ وَتــارَةً يُردَفنَ خَلفَ أَواخِرِ الرُكـــــبانِ

أما ان تساق نساؤهم خلف جيش الهذيل، او يتركن آخر الركب لذلتهن.

١٢- أَحبَبنَ تَغلِبَ إِذ وردن بِلادَهُم لَمّا سَمِنَّ وَكُنَّ غَيرَ سِمـــــــانِ

يريد انهن في اسرهن احببن تغلب لأنهن وجدن عندها الاكل وكن جياعاً في دياركم.

١٣- يَمشينَ بِالفَضَلاتِ بين رحالهم يَتبَعنَ كُلَّ عَقيرَةٍ وَدُخـــــــانِ

الفضلات: الخمور ،العقيدة: الصوت، يقول: حيثما رأين دخاناً تبعنه يستطعمن و أنهن شربن الخمور.

١٤- لَولا أَناتُهُمُ وَفَضلُ حُلومِهِـــم باعوا أَباكَ بِأَوكَسِ الأَثمــانِ

الاناة: الحلم، يقول: منعوا على الخطفي حين أسروه. وهبه الهذيل لعمرو بن عقفان اليربوعي.

أوكس: أرخصها.

١٥- وَكَأَنَّ راياتِ الهُذَيلِ إِذا علـــت فَوقَ الخَميسُ كَواسِرُ العِقبـــــانِ

شبه الرايات بأجنحة العقبان إذا كسرت، الكاسر: المنقض من العقبان.

١٦- فاسأَل بِتَغلِبَ كَيفَ كانَ قَديمُـهم وَقَديمُ قَومِكَ أَوَّلَ الأَزمـــــــانِ

قديمهم: شريفهم. أول الازمان: يريد بها ما مضى.

١٧- لَولا فَوارِسُ تَغلِبَ اِبنَةِ وائِــلٍ نَزَلَ العَدُوُّ عَلَيكَ كُلَّ مَكـــــانِ

يريد ان العدو ينزل في كل مكان تنزل فيه لولا حماية تغلب لهم.

١٨- حَبَسوا اِبنَ قَيصَرَ وَاِبتَنوا بِرِماحِهِم يَومَ الكُلابِ كَأَفضل البُنـــــيانِ

حبسوا: ردوا

١٩- قَومٌ هُمُ قَتَلوا اِبنَ هِندٍ عَنـــوَةً عَمراً وَهُم قَسَطوا عَلى النُعمـانِ

عمرو بن هند قتله عمرو بن كلثوم التغلبي لما أرادت هند ان تستخدم ليلى أم عمرو بن كلثوم.

٢٠- قَتَلوا الصَنائِعَ وَالمُلوكَ وَأَوقَدوا نارَينِ قَد عَلَتا عَلى النيـــــرانِ

يعني بالنارين يوم أوقد فيه التغلبي ناراً على جبل يدعى خزاراً.

٢١- قَومٌ إِذا وُزِنوا بِقَومٍ افُضِّـــلوا مِثلَي مُوازِنِهِم عَلى الميـــزانِ

*يبدأ الفرزدق قصيدته دون مقدمة وكأن قصيدة جرير في صاحبه قد أثارته ولم تترك له فرصة الأخذ بالمقدمة الطللية فشاء له حماسه أن يبدأ بنقض جرير.

-ألأبيات١-٣.بين فيها الفرزدق أن هجاء جرير لتغلب لا قيمة له يضع حداً في بحرين متلاطمين بحره وبحر الأخطل و إن تغلب فضلت الفرزدق على جرير.

-الأبيات٤-٥.يذكر الفرزدق فرسان تغلب وينص على ذكر الهذيل و فروسيته وقيادته للجيش.

--الابيات١٥-٢١.يعود الفرزدق الى ذكر فرسان تغلب دفاعاً عن الأخطل وقومه. فمجد تغلب قديم بينما مجد جرير حديث فهم لا أصالة لهم .

ويصف قوم الأخطل بالشجاعة والكرم.

<u>ومن خلال هذه القصائد يتبين لنا</u>

١-إنها جميعاً قامت على أكثر من غرض ، جرير بدأ بمقدمة طللية ثم تبعها بهجاء و فخر وتعداد مآثر قومه ، والاخطل بدأ بمقدمة خمرية تبعها بهجاء ثم فخر وهجاء ومديح لقوم الفرزدق. أما الفرزدق بدأ قصيدته بلا مقدمة بل بدأ بالهجاء مباشرة.

٢-النقائض قائمه على الهجاء ونقض ما يقوله الخصم الشاعر.

٣-ذكر جرير فرسان قومه الذين انتصروا على الفرس والروم ونقض الفرزدق هذا المعنى و اخذ بتعداد مآثر قومه.

٤-ذكر جرير صور عديدة تمس دين الاخطل وإنه سكران ولا تجوز شهادة من يشرب الخمر، فنقض الفرزدق هذه الصور وذكر مآثر تغلب وفخر بهم.

٥-القصائد حافله بتراث القبائل التي ينتمي اليها الشعراء، فهي تعد سجلاً لمآثرهم وسجل لأسماء فرسانهم- في النقائض مادة وفيرة تتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام. ٦-شعراء النقائض تختلف طرق تعبيرهم في الخطاب باختلاف ما يتحدثون عنه و باختلاف المعاني التي ينقضونها.

٧-نجد في شعر النقائض صورة حية للمجتمع العربي في العصر الأموي ولمكانة الشاعر فيه.

٨-نستطيع أن نجد في النقائض اتجاهات الهجاء في العصر الاموي من الهجاء الشخصي والقبلي والسياسي.

٩-تشابه أسلوب النقائض من حيث المعاني التي يطرقها الشعراء بسبب طبيعة النقائض نفسها وما يقتضيه موقف الهجاء.

١٠-لجوء شعراء النقائض الى السخرية والى المجون الساخر وذلك لاستنباط الصور و إيرادها إيراداً ساخراً يثير الضحك في نفوس السامعين.

١١-إفادة النقائض اللغة والأدب بما فيها من أساليب جديدة و ثروة لغوية.

١٢-كانت تعبيراً وسجلاً تاريخياً لكثير من الوقائع والعادات في العصر الأموي.

١٣-ساعدت على اهتمام النقاد وعلماء اللغة بدراستها للموازنة والمفاضلة بينها.

النثر فى العصر الاموى

*الخطابة:-

أسهمت عوامل كثيرة في ازدهار الخطابة في عصر بني امية إذ كانت لا تزال للعرب سلائقهم اللغوية و لم تفسد بمجاورة الأمم الأجنبية والأختلاط بشعوبها.

وكانوا من بلاغة المنطق و حسن البيان بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة القلوب مع الديباجة والرونق البديع.

*و عوامل مختلفة هيأت للخطابة العربية أن تبلغ في هذا العصر من نشاط و ازدهار فقد كان للسياسة والمحافل والدين دوراً في هذا التقدم.

– ففي مجال السياسة إمتاز هذا العصر بظهور معارضات قوية للدولة الأموية وإن الخلافة ليست لهم ،هذا الأمر الذي أدى الى انقسام المجتمع الأموي الى فرق متناحرة كالأزارقة والنجدات والصفرية و الأباضية، و كل فريق يدعي حقه في الخلافة.

*أما في مجال الدين فقد دفع الإسلام الى نشاط واسع للخطابة جعلها جزءاً لا يتجزأ من صلاة الجمعة والعيدين، كي يعض الخطباء الناس بالمواعظ الحسنة.

*إن الاحداث والظروف التي تلت وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كان من شأنها أن تطور الخطابة وتسير بها شأواً بعيدا إذ لم يعد مجالها الدعوة الى مبادئ الإسلام فحسب، بل تجاوزتها للتعبير عن كل ما يجد في حياة الأمة من أحداث وظروف وفتن وحروب فكانت حصيلة ذلك خطب كثيرة في صدر الاسلام والعصر الاموي تمثل جانباً كبيراً من النشاط الفكري والسياسي والاجتماعي عند العرب والمسلمين.

و سنقوم باستعراض أهم الخطب التي كانت متداولة في مجالات الحياة المختلفة و كما يلي:

١-خطب البيعة والخلافة والولاية.

٢-خطب الاحداث.

٣-خطب الثورات السياسية.

٤-خطب الوفود والرسل والمفاوضات.

٥-خطباء الوعظ أو الخطبة الرسمية.

١-خطب البيعة والخلافة والولاية

تستمر خطب البيعة في العصر الأموي لتكون أحد مراسيم تولي الخلافة وقد عرف جل خلفاء، بني أمية بقدرتهم على الخطابة والملكة البيانية التي أتوها.

وقد ذكرهم الجاحظ فقال: كان أبو بكر خطيباً، وكان عمر خطيباً، وكان عثمان خطيباً وكان علي أخطبهم ،وكان من الخطباء معاوية ويزيد، وعبد الملك، ومعاوية بن يزيد، ومروان، وسليمان، ويزيد بن الوليد، والوليد بن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز.

*إن متابعة خطب البيعة لخلفاء بني أمية تجعلنا نقول إنها اتخذت طابعاً آخر يختلف عما ألفناه في خطب خلفاء الراشدين لإختلاف ظروف البيعة إذ أصبحت الخلافة عند بني أمية وراثية.

ففي خطبة عمر بن عبدالعزيز بعد وفاة سليمان بن عبدالملك نجد فيها روح خاصة تقترب من روح خطب الخلفاء الراشدين : (أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم فاختاروا لأنفسكم .)

فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضي به الناس جميعا حمد الله و أثنى عليه ، و صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم خطب فيهم و أوصاهم بتقوى الله وطاعته و العمل لأجل رضاه وختم خطبته بقوله : (من أطاع الله وجبت طاعته و من عصا الله فلا طاعة له ، اطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم).

٢- خطب الحوادث

من أهم الحوادث التي هزت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أحداث المرتدين وفتنتهم ومع إنه لم يصل إلينا من هذه الخطب إلا القليل.

*فإن طبيعة هذه الأحداث تقتضي قيام خطباء من الفريقين من المسلمين وقادتهم يحثون الجيش على الجهاد في سبيل الله وخطباء من المرتدين يسوغون لقومهم سبب خروجهم على الدولة الأسلامية محاولين إقناعهم بصحة موقفهم.

*و نجد في خطب الخطباء صدق العاطفة والحماس المتقد وحرارة الإيمان الدينية مما جعل خطبهم موشحة بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي يؤكدون من خلالها أحقيتهم بالخلافة داعين جيوشهم الى الصبر في سوح القتال ومقارعة الجيوش.

٣-خطب الثورات السياسية:-

وتستمر الخطابة مواكبة الأحداث السياسية في العصر الأموي وتكون وسيلة بيد الخليفة الأول معاوية حين غير نظام الحكم وجعله وراثياً.

وأوعز الى نفر من الخطباء في مجلسه و يخطبون في الناس وكأنهم يقترحون عليه تسميته الخليفة من بعده واقترحوا أن يكون ابنه يزيداً لكي لا يبقى الناس بعده في فتنه.

*و قد ذكر الجاحظ إن الناس لما اجتمعوا قام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة فقام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقفع فاخترط سيفه ثم قال: أمير

المؤمنين هذا ، وأشار بيده الى معاوية فإن مات فهذا ، وأشار بيده الى يزيد ، فمن أبى فهذا ، وأشار بيده الى السيف. فقال له معاوية أنت سيد الخطباء وعبارة معاوية الأخيرة تدلنا على كثره الخطباء في مثل هذه المواقف السياسية.

و تعد خطب الحجاج من الخطب السياسية الدائرة في إطار الأحداث و الأحزاب السياسية لكونه والياً للعراق شهِد كثيراً من تلك الحوادث التي قادتها الفرق و الاحزاب .

خصائص خطب الحجاج :

١ _ إسلوب الحجاج رائعاً في قوة شخصيته التي انعكست على خطبه و في تمثله بالآيات القرآنية.

٢ _ و في جمال عباراته وجزالتها و قوة تأثيرها.

٣ _ ظهور الأثر القرآني في خطب الحجاج دليل على تأثره البالغ بأسلوب القرآن الكريم و إن إيراد الآيات القرآنية في خطبة يزيد من تأثير خطبه في نفوس السامعين.

٤ _ و قد ظهر اثر القرآن واضحاً في خطب الحجاج السياسية و الوعظية معاً و أجاد الإقتباس من القرآن الكريم.

و قد تمثل ذلك في خطبته التي خطبها عند مقدمة العراق بالآية ١١٠ من سورة النحل مع إنه لجأ في خطبته الى إسلوب التهديد والوعيد فقال : (والله لأحزمنكم حزم السلمة و لأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله اليأس و الجوع بالخوف بما كانوا يصنعون ، و إني و الله ما أقول إلا وفيت و لا أهم إلا أمضيت).

٤-خطب الوفود

-ذكرت بعض خطب وفود القبائل في عصر ما قبل الإسلام وقد أحاطها الشك في صحتها بشأن وضعها وانتحالها.

- أما في العصر الأسلامي فقد كانت وفود القبائل تقدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و يخطب خطباؤها وينتدب الرسول وأصحابه من يخطب أمام رجال الوفود مبيناً مبادئ الدعوة الاسلامية.

- وكانت الخطب الاسلامية منسجمة مع الدعوة الأسلامية.

وأدت الخطابة دورها الكبير في مهمات الوفود أفراداً وجماعات فينوب عنهم فرد ليخطب عند الخليفة أو الوالي مبدياً وجهة نظر جماعته التي أوفدته.

-و ابتدعت عادة في العصر الأموي بعد وفاة معاوية وذلك أن تقدم الوفود على الخليفة فتعزي بموت الخليفة السابق وتهنأ الخليفة الجديد بخلافته.

وقد قيل بأن الوفود اجتمعت على باب يزيد بعد وفاة معاوية ولم يقدروا أن يجمعوا بين التهنئة والتعزية حتى أتى عبدالله بن همام السلولي فدخل عليه فقال:-

يا أمير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك في العطية وأعانك على الرزية فلقد رزئت عظيماً، وأعطيت جسيماً أشكر الله على ما أعطيت واصبر على ما رزئت فقد فقدت خليفة الله ومنحت خلافة الله ففارقت جليلاً، و وهبت جزيلاً، فاشكر الله على ما أعطيت واصبر على ما رزئت.

-فقد اختلفت المعاني والأفكار التي ذكرها خطباء الوفود حسب الغرض الذي وفدوا من أجله ، فكان منها خطب داعية للدين الاسلامي وأخرى للتهنئة أو التعزية وأخرى لبيان موقف سياسي أو لمطالبة بالعطاء.

٥ الخطب الوعظية و الوصايا :

تندرج كثير من خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) و أصحابه ضمن الخطب الوعظية في موعظة الناس و ضرب الأمثال للعبرة وتذكر الدنيا الفانية.

و قد تنوعت الخطب في عصر الخلفاء الراشدين و خاصة في خطب الإمام علي نتيجة للظروف السياسية التي مرت بها الدولة الإسلامية في زمانه و خطب بعض الخلفاء الأمويين خطباً أكدوا فيها المعاني الإسلامية و واجبات المرء تجاه ربه ، فقد خطب سليمان بن عبدالملك لما أفضى الأمر اليه فحمد الله و أثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال :

(الحمد لله الذي ما شاء صنع ، وما شاء منع ، وما شاء رفع ، أيها الناس إن الدنيا دار غرور و باطل ، و زينة و تقلب بأهلها تضحك باكيها و تبكي ضاحكها ، و تخيف آمنها و تؤمن من خائفها ، وتثري فقيرها وتفقر مثريها ميالة باهلها عباد الله اتخذوا كتاب الله إماماً و أرضوا به حكماً ، و اجعلوه لكم هادياً و دليلاً فإنه ناسخ ما قبله و لا ينسخه ما بعده ، و اعلموا عباد الله إنه ينفي عنكم كيد الشيطان و مطامعه).

وكانت خطب الخليفة عمر بن عبدالعزيز قائمة على الموعظة و دعوة الناس.

--و هناك خطب وعظية خارج نطاق الخلفاء و الولاة و هي تمثل الكثير من الخطب الوعظية التي دارت على السن كثير من الرجال الذين جندوا أنفسهم بخدعة الدين بدعوة الجماعة و تزويدها بالمواعظ ، و منهم الحسن البصري و المطرف بن عبدالله الحرشي و مؤرق العجلي و بكر بن عبدالله المزني و غيرهم ،و كان الخطباء ينهلون من مواعظ القرآن الكريم و آياته فهي المنبع الذي يستمد منه الخطيب وعظه .

*أما الوصايا فهي خطب و لكن ميدانها محدد لأن الخطيب يوصي من يخاطبهم بجملة مبادئ أو قضايا ويطلب منهم الإلتزام بها.

فهناك وصايا الحرب التي يبين فيها القائد أو الخليفة ما يجب على أمير المسلمين ومن معه الإلتزام به في حالتي الحرب والسلم.

من ذلك وصيه أبي بكر لأول إمارة جيش عقدها وهي إمارة جيش أسامة بن زيد حين سيره الى الشام فأوصاه و أوصى المسلمين معه بما يلي:-

(أيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عني لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ... إندفعوا بسم الله).

*و هناك وصايا الآباء والأمهات في الحرب مثلما يذكرونه من وصية الخنساء لبنيها الأربعة ، و وصية اسماء لإبنها عبد الله بن الزبير حين غلب على أمره في مكة.

*أما وصايا الخلفاء لمن بعدهم فقد اختلفت باختلاف شخصياتهم.

*و أوصى عبد الملك بن مروان بني أمية فقال: بني أمية ابذلوا نداكم وكفوا اذاكم واعفوا إذا قدرتم، و لا تبخلوا إذا سئلتم، فإن خير الله ما أفاء، حمداً أو نفى ذماً.

وهكذا وجدت الخطابة مجالاً آخر من المجالات التي تنشط وتقوي فيها دواعيها وهو ميدان الوعظ وتذكير الناس: أمور دينهم وهذا الهدف من أهداف الخطابة في صدر الاسلام.

***و اذا عدنا الى شكل الخطابة الفني**

١-إلتزام جميع الخطباء بالبساطة التي تعقبها مقدمة الحمد والشكر لله و دعوة الناس الى التقوى لذلك وجدناهم يسمون الخطبة التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالشوهاء، و سميت خطبة زياد بن أبيه البتراء لأنه لم يبتدئها بالتمجيد ولم يستفتحها بالتحميد.

٢ _ يستحسنون أن يكون في الخطيب شيء من القرآن الكريم.

٣ _ اتخذ الخطباء من مقدمات خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمثله ونماذج يفتتحون بها خطبهم و هكذا كانت خطب الراشدين و خطب الأمويين على اختلاف المواضيع التي يخاطبون الناس بها.

٤ _ أما ورود السجع أو ألصنعة الفنية في خطب هذه الفترة فقد كان وروده بشكل انسيابي غير متصنع فهو غير متكلف ولا سمج أو ثقيل ، وإن ورد طباق فعلى السليقة و البديهة.

وقد يلجأ الخطباء الى العبارات الصغيرة التي ستجعل الخطيب متمسكاً بذاكرة المستمع و انتباهه و عواطفه.

*إن تطور الخطابة في هذ العصر ، و خوضها أهم ميادين الحياة العامة جعل لها مراسيم و أصولاً مستقرة تتعلق بكيفية وقوف الخطيب و افتتاحه خطبته و طريقة تحميده و تمجيده.

--كما إن نشاط الخطابة في العصر الأموي عد إستمراراً لعصور الفصاحة و الإستشهاد اللغوي.

--كما إن ولوعهم بالبيان و الفصاحة جعلهم يميزون بين خطبائهم في المواقف المختلفة .

خصائص الخطابة في العصر الاموي :

أن المنزلة الفنية التي بلغتها الكتابة في العصر الأموي تدل على إن كثرتها كانت ثمرة جهد طويل و ألصنعة الفنية و ليست وليدة العفو و الإرتجال.

١ _ العناية باستهلال الخطبة و ختامها و تقسيمها الى أجزاء متتالية و تسلسل الأفكار و ارتباطها بعضها ببعض.

٢ _ من مظاهر ألصنعة في الخطب الأموية مراعاة الدقة و حلاوة الجرس في اختيار الألفاظ.

٣ _ العناية بالزخرف اللفظي و الحلية البديعية كالسجع والتوازن الموسيقي.

٤ _ العناية بالتصوير مظهر آخر من مظاهر ألصنعة من الخطابة الأموية ولا سيما الخطب السياسية.

٥ _ حافظ الخطباء على مستلزمات الخطابة من منبر الخطابة و حسن الهيئة وجمال المظهر و الاستعانة بالإشارة اثناء الخطبة.

الرسائل :

وجدت الكتابة اهتماماً خاصاً من الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) و التشجيع على تعليمها و الحادثة المشهورة التي اشترط فيها الرسول على أسرى بدر إطلاق سراح كل رجل يعرف الكتابة والقراءة أن يعلم عشرة من صبيان المدينة ، هذه الحادثة تبين مدى إهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالكتابة ونشرها بين المسلمين.

*كانت حاجة الرسول الى تدوين القرآن وحفظه من جهة ونظره البعيد الى حاجة دولته اليها من جهة أخرى ، كل هذا جعل الرسول يهتم بالكتابة لأنها ستكون الأساس الذي تعتمد عليه دولته في مراسلته مع القبائل العربية.

*وكان لنشوء الدولة الإسلامية الأثر الكبير في تطوير الكتابة و استخدامها على نطاق رسمي ، والأستفادة منها في خدمة الدعوة الإسلامية بعد أن كانت محصورة في مجالات محدودة وفي مناطق معينة في عصر ما قبل الإسلام.

*وقد ذهب بعض الباحثين الى أن الكتابة قد استُخدِمت قبل هجرة الرسول الكريم الى المدينة و قبل نشوء الدولة الإسلامية.

فقد كانت حاجة الدولة الإسلامية في عهد الرسول الى الكتابة كثيراً من خلال وضع أسس و قوانين الدولة الإسلامية، وكذلك من خلال العهود والمواثيق التي تتم بين الرسول والقبائل الداخلة في الإسلام.

*وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وجدت للكتابة مجالات جديدة وأحداث تستوجب المراسلة فنشطت في هذا العهد واتسعت لأبواب وأغراض كثيرة وكان من أول الأحداث التي نشَّطَت الكتابة حروب الردة.

فكانت مكاتبات الخليفة أبي بكر في حروب الردة مع بني كندة مع الأشعث بن قيس ومن ارتد معه وكتب الى أمير جيشه زياد بن أبيه وكان الأخير يكتب إليه أنباء المعارك، ويطلب منه المزيد من الإمداد.

*وبعد الإنتهاء من حرب الردة بدأت صفحة أخرى وهي حركة الفتوحات الإسلامية وهذا كله يتطلب مكاتبات تتم بين القائد وجيشه وبين الخليفة والقائد وهكذا أصبحت الكتابة عاملاً اساسياً يعتمد عليه القادة في فتوحهم إذ يستعينون بالخليفة في خططهم وتصرفاتهم بواسطة كتبهم ومراسلاتهم المتتالية.

*واستمرت الفتوحات في العصر الأموي إلا انها كانت في أوقات متقطعة متباعدة لذلك كانت رسائل هذا العصر في ما يخص الفتح أقل منها في صدر الإسلام.

ولعل سبب ذلك أن قادة الحروب في العصر الاموي كانوا يراسلون والي المصر الذي خرجوا منه، وهذا بدوره يبعث بأخبار الفتوح الى الخليفة في دمشق مما يؤدي حتماً الى تأخر الرسائل أو ربما الى تعمد الوالي تأخيرها وانتظار نهاية الفتوح.

*و قد كان بعض المسلمين يتطوع بالكتابة الى خليفة المسلمين بنصحه ويذكره بنعيم الله من اتقى وأصلح وكأنهم بذلك يؤدون واجباً ملقى إليهم.

*فقد يكتب الخليفة الى امرائه وقادته بنصائح و تعاليم دينهم في إدارتهم و ولايتهم.

إن تتبع الرسائل لمعرفة تطور الكتابة يفرض الإستفادة من أكثر من نص لمتابعة هذا التطور ومعرفة سماته التي تستطيع إيجازها فيما يأتي:-

١- الإيجاز المعبر عن الفكرة و الموقف بالألفاظ مباشرة قصد الإفهام والتبليغ.

منها ما كتبه الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى مصعب بن عمير قبل الهجرة يأمره بإقامة الجمعة في المدينة فيقول (فاذا مال النهار عن شطره من يوم الجمعة فتقربوا الى الله بركعتين).

٢- إبتداء الرسائل والكتب بعبارة البسملة وهذه سمة فنية وفكرية ميزت رسائل هذا العصر عن عصر ما قبل الإسلام ولم تزل الكتب تفتتح باسمك اللهم حتى

نزل قوله تعالى –(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) فاستفتح بها الرسول وأصبحت سنه من بعده.

٣- ذكر حمد الله والثناء عليه بعد البسملة وهذه أيضاً سمة فنية وفكرية ارتبطت بفكرة التوحيد و وجوب ذكر الله وحمده وشكره.

٤ _ كثرة الإقتباس من القرآن الكريم وإيراد الآيات المباركة المعبرة عن الموقف وقد ورد هذا منذ وقت مبكر في الرسائل التي تبدلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع اليهود والنصارى من ذلك قوله : (من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدق لما جاء به ألا إن الله قال لكم يا معشر أهل التوراة وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم ، محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً...).

٥ _ تصوير الرسائل المستوى الفكري المتفتح الذي بلغه الفكر العربي الإسلامي من خلال ما تعرضه من محاججة ومحاولة للإقناع اعتمد البرهان والحجة في عرض الفكرة بأسلوب واضح بليغ. مستعينا بالآيات القرآنية التي تلزم أهل الكتاب بالإقناع بالدعوة الاسلامية.

إن هذا التطور الكبير الذي شهدته الحياة العربية الإسلامية قد واكبته الكتابة والرسائل فنشطت نشاطاً كبيراً لا يمكن أن يقارن بما كان في عصر ما قبل الإسلام.

*إن المراسلات في العصر الأموي لا بد أن تدرج ضمن الكتابات الأدبية لأنها صدرت عن شخصيات عرفت في عالم الأدب والبلاغة وإن أصحابها يدرجون بشكل أو بآخر ضمن عصر الفصاحة والسلامة اللغوية.

*ولا بد أن تكون كتاباتهم صورة للمستوى الثقافي والفكري الذي وصلت إليه الحياة الأدبية بالذات.

*تنوعت أساليب الرسائل فهي بين إيجاز معبر وإسهاب يسهم في عرض فكرة أو مناقشتها ولغتها الى السهل الممتنع منه الى ألصنعة التي أولع بها الكتاب الرسميون في العصر العباسي فيما بعد.

*وما وجد فيها من توشيح للآيات الكريمة أو الأمثال أو الاشعار فإنما يرد عفو الخاطر شأنهم في ذلك شأن خطبهم و وصاياهم.

شعراء امويون :

١ _ عدي بن الرقاع العاملي يمدح عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم من ١٩٥ _٢٠٥ كتاب الأمالي في الأدب الإسلامي _ د. ابتسام مرهون الصفار (١٠ ابيات).

٢ _ عمرو بن الحصين يرثي أبا حمزة الشاري. من ٢٣٧_٢٤٢ كتاب الأمالي د. ابتسام الصفار (١٠ ابيات).

٣ _ جميل بثينة يتغزل بحبيبته بثينة ص ٢٤٩_٢٥٧ كتاب الأمالي د. الصفار (١٠ ابيات).

٤ _ عمر بن ابي ربيعة ص ٢٥٧_٢٧٠ كتاب الأمالي د. الصفار (٥ ابيات).

٥ _ معن بن أوس المزني ص ٢٧٨_٢٨٣ كتاب الأمالي د. الصفار (٥ ابيات).